Al-Kashaf: Research Journal for Social Sciences (Miscellaneous)
Volume: 04, No: 04. October – December 2024
ISSN: 2790 – 8798; E-ISSN: 2790 – 8801

نظرية المعرفة الإسلامية عند محمد إقبال: دراسة تحليلية

The Islamic Epistemology of Muhammad Iqbal: An Analytical Study

***Md Rahmat Ali, ** Dr. Mohammad Morshedul Hoque, ***Dr. Mohammad Nurunnabi**

**PhD Candidate, Dept. of Fiqh and Usul Al-Fiqh, Faculty of Islamic Revealed Knowledge and Human Sciences, International Islamic University Malaysia.*

*** Associate Professor, Dept. of Islamic Studies, University of Chittagong, Bangladesh*

**** Assistant Professor and Head, Department of Islamic Studies, Southern University Bangladesh*

KEYWORDS

Muhammad Iqbal, Islamic Knowledge, Epistemology.

ABSTRACT

This research focuses on the study of Islamic Epistemology in the view of Allama Muhammad Iqbal Lahori (1877-1938 AD). The philosopher Muhammad Iqbal has an important and high position in the Islamic world, which includes the renewal of Islamic thought and Islamic and Western philosophy and including the Islamic Epistemology. Given the importance of his scientific, philosophical and poetic contributions and the scarcity of a special study on it, the researchers aim to discover this Islamic knowledge and scientific contributions from his scientific, intellectual, poetic and philosophical classifications. The researchers adopt an inductive and analytical approach in studying this topic. This study reached several results, the most important of which is that Muhammad Iqbal was a great philosopher, a distinguished scholar, an influential poet, a Sufi, and a prominent Islamic thinker, unique in his time. For him, Islamic Epistemology represents an intellectual renaissance project that seeks to restore the role of Islamic civilization in leading the world scientifically and intellectually. He focused on the integration between religion and science and the importance of intellectual renewal based on revelation and reason. He is one of those who led people out of the liberation of thought from blind imitation. He sought to renew Islamic thought and link it to modern challenges. He has various scientific classifications in the field of religious thought, philosophy and poetry.

التمهيد

يركز هذا البحث في دراسة إسلامية المعرفة عند العلامة محمد إقبال لاهوري (١٩٣٨-١٨٧٧م). الفيلوسف محمد إقبال له مكانة مهمة ودرجة عالية في العالم الإسلامي المشتمل على تجديد التفكير الإسلامي والفلسفة الإسلامية والغربية ومنها المعرفة الإسلامية. ونظرا لأهمية إسهاماته العلمية والفلسفية والشعرية وندة وجود دراسة خاصة بها، يهدف الباحثون إلى أن يكتشفوا هذه المعرفة الإسلامية وإسهامات العلمية من تصنيفاته العلمية والفكرية والشعرية والفلسفية. وينتهج الباحثون في دراسة هذا الموضوع المنهج الاستقرائي والتحليلي. وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج، من أهمها: أن محمد إقبال كان فيلسوفا كبيرا عالما جليلا شاعرا متأثرا صوفيا مفكرا إسلاميا بارزا فريدا في عصره. إسلامية المعرفة عنده تمثل مشروعًا فكريًا نهضويًا يسعى إلى استعادة دور الحضارة الإسلامية في قيادة العالم علميًا وفكريًا. وأنه ركز على التكامل بين الدين والعلم وأهمية التجديد الفكري القائم على الوحي والعقل، ما يجعل رؤيته مرجعًا هامًا في الدراسات الفكرية والفلسفية الإسلامية

*Corresponding Author: Md Rahmat Ali
Email Address: mdrahmatali498@gmail.com

المعاصرة. وهو من قام بإخراج الناس من تحرير الفكر من التقليد الأعمى، وسعى إلى تجديد الفكر الإسلامي وربطه بالتحديات الحديثة، وله تصنيفات مختلفة علمية في مجال التفكير الديني والفلسفة والشعر.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد!

بذر الاستعمار الغربي في شبه القارة الهندية بذور الحضارة المادية طليلة قرنين من الزمان. ومن خلال هذه المدة المديدة تعرض التعليم الإسلامي بالتهوين والإضمحلال. ونظرا إلى هيمنة الاستعمار على الأوضاع السياسية والدينية والثقافية في شبه القارة الهندية، تمسك المسلمون بمبادئ دينهم، وخصصوا مدارسهم ومعاهدهم لتعليم المواد الدينية فقط للحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية؛ مما أدى إلى الخلل في مفهوم المعرفة الإسلامية وشموليتها عند أغلب مسلمي شبه القارة الهندية، ونضوب وعيهم الدينية بعد مرور الحقب من الزمن. ولكن شاء الله أن ينجب القارة نوابغًا، الذين أدركوا الواقع، وهمّ الأمة وأزماتها؛ فاجتهدوا في رد الأمور إلى نصابها. ومن هؤلاء النوابغ: العلامة الكبير والشاعر القدير محمد إقبال الذي سعى سعيًا حثيثًا لبناء المعرفة الإسلامية على أسسها.

عرف العالم الإسلامي محمد إقبال فيلسوفًا ومصلحًا وشاعرًا، ولقب بحكيم الأمة. عبر إقبال عن كيان الأمة ووحدتها وبعثها في شعره السامي الراقي، وصاغ فلسفته عن النفس الإنسانيّة ورؤيته إياها في أبياته، فكان شعره من نوع (الشعر الفلسفي). ولم يخلّف لنا إقبال فلسفةً نثريّة إلاّ في كتابه "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام"، وهو ما سنتناوله بالعرض في هذا المقال، قام محمد إقبال بكتابه "تجديد التفكير الديني في الإسلام" وتأسيسه على الشعوبية والإستشراق في أول حياته فإن هذا الكتاب يبين إصلاح ديني إسلامي لإعادة بناء الفكر الإسلامي والتجديد الفكري من الداخل في أواخر حياته، ومن هنا ظهر تعلقه بأسلمة المعرفة. فهذه المقالة تهدف إلى دراسة نظرية المعرفة الإسلامية عند محمد إقبال التي تركته في كتبه وأشعاره. فوجد الباحثون أنه اعتمد على مصادر ثلاثة للمعرفة، وهي التجربة الدينية، والتجربة الحسية الخاضعة للمنهج التجريبي، والتاريخ أو ما يسمي بلغة القرآن "أيام الله". ولذا اختاره الباحثون لدراسة مصادر المعرفة عند هذا العملاق الفكر الإسلامي.

خطة البحث:

ففى هذه المقالة المتواضعة عندنا خطة البحث التى نلتزم ونسير عليها، وقد اقتضت خطة البحث وتقسيمه إلىٰ مبحثين، وخاتمة.

المبحث الأول: المعرفة الإسلامية وأهميتها

وفيه مطلبين، وهما :

المطلب الأول: مفهوم المعرفة الإسلامية

المطلب الثاني: أهمية المعرفة الإسلامية

المبحث الثانى: المعرفة الإسلامية عند محمد إقبال

وفيه مطلبين، وهما:

المطلب الأول: نبذة من محمد إقبال

المطلب الثانى: المعرفة الإسلامية عند محمد إقبال

خاتمة البحث

المصادر والمراجع

المبحث الأول: المعرفة الإسلامية وأهميتها

يتناول هذا المبحث المعرفة الإسلامية وأهميتها من جهة تعريف المعرفة الإسلامية وأهميتها في الفكر الإسلامي، وفيه مطلبان: المطلب الأول: المعرفة الإسلامية، والمطلب الثاني: أهمية المعرفة الإسلامية.

المطلب الأول: المعرفة الإسلامية

إن المعرفة الإسلامية مصطلح شامل تدور على عدة معان، منها: التأصيل الإسلامي للعلوم والمعارف، أو إسلام المعرفة، أو توجيه العلوم وجهة إسلامية، أو علم العلوم والمعارف، أو النظام المعرفي للإسلام، فكل هذه المصطلحات تعبر حقيقة البديل الفكري والمعرفي والثقافي والذي يمكن للإسلام أن يقدمه لعالم المعاصر بما في ذلك عالم المسلمين.

وتتكون مصطلح "المعرفة الإسلامية " من كلمتين وهما: "المعرفة" و"الإسلامية" فهنا نعرف المصطلح بالتعرف الإضافي والتعريف اللقبي.

المعرفة في اللغة تطلق على الفعل عرف يعرف عرفانا ومعرفة، يعرفه بكسر الراء، وتفيد ذلك ما يدركه الإنسان ويتصوره، ومعناها في اللغة ضد الإنكار، وإدراك الشيء، وحصول صورة الشيء في العقل، وهي تعود إلى معنى السكون والطمأنينة، وكل ما تعرفه الناس من خير (الأزهري، ٢٠٠١م، ٢:٢٠٨)، وقال الرازي: "المعرفة بفتح الراء الموضع الذي ينبت عليه العرف" (الرازي،١٩٩٩م، ٢٠٦).

وقال ابن فارس: "العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تتابع الشيء متصلا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة"(ابن فارس، ١٩٧٩م، ٤:٢٨١).

المعرفة ترادف العلم الكسبي، وهي أخص من العلم، فكل معرفة تعتبر العلم، وكل علم لا يعتبر المعرفة، كما صفة الإنسان أنه عالم وعارف والله لا يوصف بالعارف (محمد عمارة، ٢٠٠٧م، ٨)، ورغم ما ذهب إليه أكثر أهل العلم من العلماء القدماء أن معنى المعرفة تعني العلم.

وعند العلماء تعريفات متعددة لمصطلح المعرفة، كما قال الجرجاني: "المعرفة إدراك الشيء على ما هو عليه وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف" (الجرجاني، ٢٠٠٤م، ١٨٥).

وعرفها سعيد السالم: هي "كل العمليات العقلية عند الفرد، من إدراك وتعلم وتفكير وحكم يصدره الفرد وهو يتفاعل مع عامله الخاص"(السالم، ٢٠٠٢م، ١٨٤).

بناء على ما سبق، يجد الباحثون أن المعرفة هي ما يحصل عليه الفرد من معلومات وحقائق من إدراك أو تعلم أو تفكير، وهي نتيجة من خلال دراسته النظرية أو التطبيقية، وكل ما يستحضره الناس لأداء إعمالهم بإتقان.

وأما كلمة الإسلامية" فهي وردة كصفة للمعرفة، وهي النسبة إلى هذا الدين الذي وضع الشارع الحكيم .

والحد اللقبي للمعرفة الإسلامية: وقد وردت التعريفات المتعددة لمفهوم المعرفة الإسلامية أو إسلامية المعرفة، تعني "منهجية إسلامية قويمة شاملة تلتزم توجيه الوحي ولا تعطل دور العقل بل تتمثل مقاصد الوحي، وقيمه، وغاياته، وتدرس وتدرك وتتمثل موضوع اهتمام الوحي وارشاده وهو الفرد والمجتمع الإنساني والبناء الاعمار الحضاري، وما أودع الله في هذه الكائنات والعلاقات من فطرة ومن طبع وكيف توجه تلك الطبائع وتتفاعل، وكيف تطوع وتستخدم. وكل ذلك من أجل تفهم هذه الكائنات وعلاقاتها حتى يمكن تسخيرها لتوجيه الإسلام وغاياته"(المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٨٦م، ٢:١٦٧).

وعرفها عماد الدين خليل "المعرفة الإسلامية" بأنها: "ممارسة النشاط المعرفي كشفا وتجميعا وتوصيلا ونشرا من زاوية التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة" (العلواني، ١٩٩٦م، ١١)

وعرفها القرني: "بأنها الحالة النفسية التي يجدها الإنسان بالضرورة حال الإدراك"(القرني، ٢٠٠٨م، ١٨).

وعرفها الأستاذ أبو القاسم حاج حميد: وهي تعني: "فك الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري والإحالات الفلسفية الوضعية بأشكالها المختلفة وإعادة توظيف هذه العلوم ضمن نظام منهجي ديني غير وضعي"(العلواني، ١٩٩٦م، ١١)، ظن البعض أن هذا كان محاولة من فصيل إسلامي أصولي لاستغلال المعرفة والفكر والثقافة كأداة للسلطة السياسية، ومما جعلهم يرونه خطابا أيديولوجيا ولبس معرفيا أو منهجيا.

بعد استعراض التعريفات السابقة اتضح للباحثين، أن المعرفة الإسلامية هي فهم الإنسان، والحياة، والكون بمنظور إسلامي، وهي الأسس والقواعد الإلهي التي أنزلها الشارع الحكيم من خلال الوحي، والتي تقوم بإزالة الجهل والإقبال على الفهم والإدراك.

المطلب الثاني: أهمية المعرفة الإسلامية

يمتاز التصور الإنساني والتطور الحقيقي للمعرفة والإدراك بخصائص عالية ذاتية، والله تعالى خلق الإنسان وعلم البيان والعلم والمعرفة لأهداف ساطعة وغاية مهمة. بدأ الإسلام انطلاقه من وجود إدراك تلك المعرفة، وهي تشمل ما يدرك بالتعليم

والتجربة الذاتية، وهي المفتاح لعبادة الله تعالى، وبها يستطيع الإنسان أن يستغل إدراك قدرة خالقه وخيرات الدنيا والآخرة لها فيه مصالح البشرية ومنافعهم وسعادتهم ونجاتهم، وهذه المعرفة الإسلامية لها أهمية كبيرة في الفكر الإسلامي، وذلك فيما يلي:

لقد اهتم الإسلام بالمعرفة وطلبها اهتماما بالغا ولها أهمية ميزة في الفكر الإسلامي، وقد كانت أول كلمة إلهية نزلت في القرآن الكريم وهي "اقرأ"، وجاءت كأمر مباشر للنبي ﷺ ولجميع المسلمين بالسعي إلى حصول العلم والمعرفة، إذ تعد القراءة مدخلا إلى جميع العلوم، وهي شرط مهم للعمل، ويؤكد الإسلام على أن العلم يأتي قبل العمل، فلا يتصور تفعيل الشروع في العمل دون فهم وعلم معرفة، وهي ضرورية جدا لبناء المجتمع الإسلامي وخروج الناس من الظلمة إلى النور والهدى، وتطور الفكر الإصلاحي، كما ذكر الدكتور العلواني في أهمية المعرفة الإسلامية: "إسلامية المعرفة ضرورة معرفية حضارية للخروج من المأزق المعرفي المعاصر والأزمة الفكرية العالمية المعاصرة"(العلواني، ١٩٩٦م، ١٦).

منذ أن وُجد الإنسان العاقل، وُجدت معه رغبته الفطرية في استكشاف المجهول، والسعي نحو معرفة الحقيقة والوقوف على تفاصيل الواقع. فقد كانت الحقيقة، ولا تزال، الشغف الأسمى الذي يدفع الإنسان العاقل للبحث المستمر، دون كلل أو ملل، مقدماً في سبيلها كل غالٍ ونفي، وما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات هو إصراره الدائم على فهم الواقع والكشف عن الحقائق المحيطة به، وما نشهده اليوم من تطور مذهل وتقدم ملحوظ في مختلف المجالات ليس سوى انعكاس لهذا الشغف العميق الذي لطالما حفّز مسيرته عبر التاريخ، فتبين أن المعرفة الإسلامية هي أكبر خادم خدم الإنسان وساعده في رحلته الطويلة على هذه الأرض، فحاجة الإنسان إلى المعرفة لا تقلّ أهمية عن حاجته إلى الماء والهواء؛ فكما أن غياب الماء أو الهواء يؤدي إلى هلاك الجسد، فإن غياب المعرفة يؤدي إلى فناء الروح والعقل. ذلك أن كل حركات الإنسان وقراراته تعتمد على معارفه ومعلوماته. وبدون هذه المعارف، يصبح الإنسان عاجزاً عن اتخاذ أي قرار، ويجد نفسه تائهاً في ظلام الجهل، غير قادر على الحركة أو الفعل بسبب انعدام البصيرة التي تهديه في حياته (المنو، ٢٠٢٢م، ٨).

وإن المعرفة الإسلامية تقوي قلوب الإنسان من حيث معرفة ربه تعالى، ويعتبر أنها مفتاح لعبادته، وهي سبب لإدراك القدرة والحكمة الإلهية، وبها يستطيع الإنسان أن يستغل خيرات الدنيا وسعادته لما فيه من مصالح البشرية، وبها يتكون التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، كما ذكر حسن العمري: وهي "تأسيس تلك العلوم على ما يلائمها في الشريعة الإسلامية من أدلة نصية أو قواعد كلية أو اجتهادات مبنية عليها، وبذلك تستمد العلوم الاجتماعية أسسها ومنطلقاتها من الشريعة الإسلامية ولا تتعارض في تحليلاتها ونتائجها مع الإحكام الشرعية، ولا يعني ذلك بطبيعة الحال أن تدخل العلوم الاجتماعية في إطار العلوم الشرعية إنما المهم ألا تتعارض معها"(العمري، ٢٠٠٣م، ٤٨).

وإن المعرفة والعلم يسهمان في تحقيق أهمية العقل السليم، وحظي العقل السليم في الرؤية الإسلامية بمكانة عالية ودرجة رفيعة، حيث تميز الخطاب الإسلامي بالتركيز على مخاطبة العقول قبل القلوب، فيتحقق هدف الإسلام ترسيخ الإيمان

على أساس العلم والمعرفة، بل حرص على بناء معتقداته على أسس ثابتة تعتمد على العقل السليم والمنطق الصحيح (المنو، ٢٠٢٢م، ٥)، كما وردت الآيات المتعددة في التعقل، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٢]، ومنها جاء قوله تعالى مادحا للتعقل: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]. لا شك أن المكانة الرفيعة التي حظي بها العقل في الخطاب الإسلامي تنبع من الطابع العقلاني والمنطقي الذي تميزت به هذه الدعوة. فقد استندت أركانها إلى أسس عقلية متينة استعصى على معارضيها دحضها أو تفنيدها. ولذا، جعل القرآن الكريم العقل السليم أداة للفصل بينه وبين مخالفيه، كما جاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]. ويقتضي توقف الإدراك العقلي على شرطين، فلا يتحقق إلا باجتماع الغريزة العقلية وانطباع الحواس بالمدركات الحسية (القرني، ٢٠٠٨م، ١٨).

والمعرفة الإسلامية هي طبيعة الإدراك الحسي، ويستوجب تأصيل المعرفة ومنهج الاستدلال في الإسلام ما حصل من الانحراف في الفكر الإسلامي نتيجة الخلاف حول مصدر التقي. فالمعرفة الإسلامية لها دور كبير في تطور فكر الإنسان وتنمية بصيرتهم وتغير سلوكهم من الخرافات إلى الحقيقة، حيث إنها تمكن الناس من الابتعاد عن كل ما نهى الشارع الحكيم كقتل النفس وأخذ أموال الناس بالباطل والزنا والفواحش وعقوق الوالدين وغيرها، فالإنسان يميز الحقيقة والصواب بالمعرفة الإسلامية.

المبحث الثاني: المعرفة الإسلامية ومصادرها عند محمد إقبال

يتناول هذا المبحث عن المعرفة الإسلامية ومصادرها عند محمد إقبال، وذلك في مطلبين: المطلب الأول: نبذة من محمد إقبال، المطلب الثاني: المعرفة الإسلامية عند محمد إقبال.

المطلب الأول: نبذة من محمد إقبال

هو محمد اقبال بن الشيخ نور محمد، ولد في مدينة "سيالكوت"، إحدى مدن البنجاب الغربية، – وهي إحدى ولايات الباكستانية حاليا– في السنة ٩ نوفمبر ١٨٧٧م، وهو المولود الثاني من الذكور؛ كان أصول محمد إقبال من أسرة كريمة برهمية صوفية، وعرف قومه بالصلاح والتعليم والتصوف، حيث كان أسلافه ينتمون إلى جماعة في كشمير، واعتنق الإسلام أجداده قبل مائتي سنة، ونشأ محمد إقبال ومكث في القرية التي مكث جده في سيالكوت اثنتين وعشرين سنة (عزام، ٢٠١٤م، ٢٣) .

جهود إقبال العلمية

تعلم محمد إقبال العلوم الابتدائية في بيته على يد أبيه في سيالكوت، وتعلم اللغة الفارسية والعربية إلى جانب لغته الأردية، ودرس بأحد مكاتب التعليم فيها، وفكر أبوه أن يتفرغه من البيت في سن مبكر للعلم الديني، فالتحق في المدرسة وانتقل

إلى الثانوية؛ حيث تعلم الآداب واللغة العربية والفارسية، وكان قد قدم حياته للدراسات الإسلامية. ثم بدأ دراسته الجامعية الحكومية في السنة ١٨٩١م بلاهور، واستمر في دراسته وتخرج فيها وجدّ فيها كدأبه وحصل منها على إجازة الآداب ١٨٩٧م، ثم حصل على درجة الماجستير ١٨٩٩م وتلقى دراساته الفلسفية؛ وبعد حصول شهادة الماجستير عين عميدا للعربية في الكلية الشرقية لجامعة البنجاب، وحاضر فيها حوالي أربع سنوات، وصنف كتابًا في "علم الاقتصاد". هكذا أتم دراسته مبرزا في زملائه (الغوري، ٢٠٠٠م، ١٨-٢٣).

ورحل إقبال إلى أوروبا لحصول درجة الدكتواره من جامعة ميونخ في ألمانيا، وزار عدة من بلدانها، ولم ينس في سفره نشر الإسلام، وأثر بشعره وأسلوبه في كثير من الأوروبيين، وفي خلال دراسته في أوروبا زار إقبال الدول العربية والإسلامية والتقى العديد من الفيلوسوف (بوعزيزي، ١٩٩٩م، ٢٦)، ثم عاد إلى شبه القارة الهندية في السنة ١٩٠٨م، ومكث في مدينة لاهور، وقدم طلبًا محاميًا لدى القضاء، ثم عين أستاذًا في الفلسفة في كلية لاهور، وكان إقبال يتابع المؤتمرات والجلسات والاجتماعات التي كانت تعقدها الجامعة, حيث كان له دور مهم في إصلاح حالة التعليم في شبه القارة الهندية في هذا الوقت. واشتغل نفسه في التعليم والتربية والخطبات، وكان وثيق الصلة بأحداث المجتمع الهندي حتى أصبح رئيسا لحزب العصبة الإسلامية في الهند، ومن ثم رأى إقبال تأسيس دولة إسلامية، واقترح لها اسم "باكستان"، توفي إقبال في السنة ١٩٣٨م بعد أن اشتهر بشعره وفلسفته (الندوي، ١٩٦٠م، ١٧- ٢١).

قد أصابه المرض في السنوات الأخيرة من عمره، وضعف بصره لدرجة حتى لم يستطع أن يرى أحدا بسهولة ولا التعرف عليهم، ثم خفض صوته حتى لا يسمع منه، ووصل في نهاية حياته وانتقل إلى رفيق الأعلى في السنة ١٩٣٨م في تمام الساعة الخامسة صباحًا. وترك محمد إقبال ثروة ضخمة من علمه وشعره، في تصنيفاته المختلفة، منها في مجال الاقتصاد والسياسة والتربية والفلسفة والتجديد والفكر وترك الكتابات المتفرقة والرسائل العلمية، وإلى جانب روائعه من الشعر والتي كني شاعر الإسلام (الهدي، ١٩٧١م،٥٠). ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي: "ومن دواعي العجب أن كل هذا النجاح حصل لهذا النابغة، وهو لم يتجاوز اثنين وثلاثين عاما من عمره" (الندوي، ١٩٦٠م، ٢٨).

شاعرية إقبال

كان محمد إقبال أديبا أريبا، بدأ إقبال رحلته مع كتابة الشعر في المرحلة الثانوية وهو في ريعان عمره وعنفوان شبابه، لقد حثه أساتذه الذين لمسوا موهبته الفريدة، وإنه كان ينظم الشعر يرسل قصائده إلى أحد أعلام الشعر الأردي الشاعر البارز داغ دهلوي، ونصحه بشأنها ونقحها، وداغ دهلوي أعرب عن إعجابه الشديد بشعر محمد إقبال، وقرر أن أشعاره المختلفة لا تحتاج إلى التنقيح، لأنها تحمل من الجودة والإبداع ما يجعله مكتملة في ذاتها. ونظم قصيدته الأولى البديعة بعنوان "جبل همالہ"(الغوري، ٢٠٠٠م، ٥١).

وكان من فنون شعر إقبال دواوين متنوعة في اللغة الأردية والفارسية، كديوان صلصلة الجرس بالأردية، وأسرار الذاتية ورموز نفي الذاتية بالفارسية، ورسالة المشرق بالفارسية، وزبور عجم بالفارسية، وجاويد نامه بالفارسية، ومسافر بالفارسية، وجناح جبريل بالأردية، ما ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق بالفارسية، وضرب كليم بالأردية، وهدية الجحاز باللغتين الفارسية والأردية (عزام، ٢٠١٤م، ١٣٣-١٣٩) .

موقف إقبال من الصوفية

بعد استقراء تصنيفاته المتنوعة وأفكاره الشعرية نجد أن كان متأثرا شديدا بالصوفية، تعلق إقبال بالصوفية محكما بين تجديد الفكر الديني وبين نهضة الأمة الإسلامية، وما يجعل محمد إقبال يميل إلى التسامح من الصوفية وهو ارتباط العميق بجذور النبوة وإيمانها عميقا بالوحي الإلهي كمصدر للمعرفة الإسلامية، ويرى إقبال العقل والمادة في إطار الفكر الديني كوسائل تخدم المقاصد العليا للدين، وهو يعبر أن الفكر الصوفي يراعي في مشروع النهضة، وبين محمد إقبال أن الفكر الصوفي يفيد التكامل المعرفي، وبناء الذات، والإيجابية، كما وضح من قوله رحمه الله:

"وإذا العلم عن العشق انفرد مسرحا أضى لأفكار تعد

فيه سحر السامري ظاهر علمنا من غير وحي ساحر"(الخوالة، ٢٠١٦م، ٢١٤-٢١٥)

وكان موقفه من الصوفية قد مر في ثلاث مراحل، وهي الإعجاب والدراسة، نقد الصوفية، إعادة بناء الفكر الديني .

المطلب الثاني: المعرفة الإسلامية عند محمد إقبال

يعرف العالم الإسلامي أن إقبال كان فيلسوفًا ذاتيًا ومصلحًا وعالماً وشاعرًا، وكان يلقب بحكيم الأمة. ويذكر محمد إقبال عن ترقي الأمّة ووحدتها وبعثها في شعره السامي العالي، وكان شعره من نوع الشعر الفلسفي، وصاغ فلسفته عن النفس الإنسانيّة والأجيال الشريفة، وتأثر شعره الفلسفي في تصنيف كتابه "إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام"؛ وأيضًا دواوينه الشعرية تتأثر في الأفكار القيمة التي كتبها بالفارسيّة والأردية؛ وشاع شعره في أحوال الاجتماعيّة والثقافيّة والسياسيّة في شبه القارة الهندية، حتى يتأثر بقيام ضد الاستعمار البريطاني، وهو أوّل من دعا إلى استقلال مسلمي الهند في بقعة خاصة، وألقى إقبال محاضرات في مدراس حيدر آباد ولاهور وغيرهما. وجمعت هذه المحاضرات في كتاب واحد وطبعت تحت عنوان: "ست محاضرات في إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام"، ثم أضيف إليه فصل إضافي باسم "هل الدين أمر ممكن", ودعا إقبال بهذه المحاضرات إلى تجديد الأسس العقلية للفكرة الإسلامية بما يتناسب دور العلم في العصر الحديث. والمحاضرات الستّة هي: المعرفة والتجربة الدينية، الاختبار العقلي على ظهور التجربة الدينية، مفهوم الله ومعنى الصلاة، حرية الأنا الإنسانيّة وخلودها، روح الثقافة المسلمة، مبدأ الحركة في بناء الإسلام، والسابع: هل الدين أمر ممكن؟

وإن كتابه "تجديد التفكير الديني في الإسلام" يُعد دليلاً على فكر فلسفي عميق وروح ثقافية أصيلة. في هذا الكتاب، يسعى إقبال إلى تأسيس منهج تجديدي يهدف إلى إعادة بناء الفكر الإسلامي من الداخل، من خلال معالجة قضايا الشعوبية والاستشراق، وتجديد نظام التعليم، والإصلاح الديني. يتضمن الكتاب سلسلة من المحاضرات التي ألقاها إقبال في مدن مثل مدارس، وحيدر أباد، وعليكرة، حيث يعكس نضجاً فلسفياً ووعياً ثقافياً إسلامياً. كما يجمع بين تجربة شعرية عميقة وتأمل فلسفي متين، ما يجعل منه محاولة لإعادة صياغة الفلسفة الدينية الإسلامية على أسس تجمع بين التراث الإسلامي القديم والمعارف الحديثة، هدف إقبال من هذا العمل هو تطوير فلسفة دينية إسلامية تتماشى مع تطور العلوم المادية والمعارف الإنسانية، بحيث تدمج بين الأصالة والتجديد، وتؤسس لفهم أكثر عمقاً وشمولاً للإسلام في ضوء التحديات الفكرية المعاصرة. هذا الكتاب يمثل محاولة لتجديد الفهم الإسلامي، حيث يدمج بين الموروث الديني والتراث الفلسفي الحديث، مقدماً رؤية شاملة للتوفيق بين الأصالة والتجديد.

وقام اقبال لبناء الحياة الجديدة بطريق إعادة بناء المفاهيم، ويرى أنّ المعرفة الإنسانيّة معرفة مفاهيمية، والمعرفة الذاتية، كما أول ما وهب الله الإنسان وهو العلم، وهو ما نراه من قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]؛ وقام في إدراك المعرفة بالقلب والحواس حيث جعل الفلسفة والدين منهجًا مستندًا بعضها ببعض لمفهوم جديد، فقد ظهر إبداعه الفلسفي المتقدم في بنائه مفهوم العالم، ومفهوم الإنسان، ومفهومي الحين والمكان. في بنائه المفاهيم أنه لا يقفز مباشرة إلى أفكار ذي فلسفي ولا يعتمد عليه بمجرد الفكر، كما يحدث مفكري الشرق والغرب، بل جاء بالأمثال من الدين والفلسفة وبيّن أن بينهما علاقة داخلية، مستنداً إلى أنوار القرآن العظيم، وهو في كلام دائم متّصل مع الوحي الإلهي، فيضيء لنا نور القرآن، وشاع مناهج التصورات والمفاهيم والأفكار.

يرى إقبال أن القرآن يقدم تصوراً شاملاً للعالم الذي نعيش فيه، موضحاً أن الإنسان لم يُخلق عبثاً، وأن هذا الكون لم يوجد بلا هدف. فالقرآن يوجّه الإنسان نحو إدراك الغاية من وجوده، مشيراً إلى أن حياته ليست مجرد صدفة عابرة، بل لها بداية محددة وأجل محتوم. هذا التصور القرآني يعزز وعي الإنسان بمعنى الحياة وبالمسؤولية الملقاة على عاتقه لتحقيق الغاية من وجوده.

بين إقبال في بداية كتابة بملاحظات شاملة على التجربة الدينيّة، وهي تجربة تصل إلى النّفس مباشرة، وهي التفكر والتدبر في خلق الله, وهذ التفكير مسبب ووسيلة لوصول إلى مراد الله تعالى, فهي صدق التجربة الدينية وسيلةً للمعرفة والاختبار العقلي الشديد, كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ, الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١]، فإن هذه هي الحقيقة التي يجب على الإنسان أن يفكر ويتدبر

لمعرفة الله تعالى (إقبال، ٢٠١١م، ٢٨). حيث ينتقد إقبال الأدلّة الفلسفة التي قامت تنكير وجود الله، ويلتمس من القرآن الكريم معنى جديد للتقدير، ويناقش نظريات مختلفة وينتقد نقاط ضعفها كذلك؛ هكذ زهد إقبال أن يخبر الناس

لاستخدام العقل في معرفة الله ووجوده، وبناء المجتمع الديني بالإصلاح والتقدم والتجديد، كما نراى في كتابه.

مصادر المعرفة الإسلامية عند محمد إقبال

مصادر المعرفة تبحث عن نظرية المعرفة، وهي أساس المعرفة وأصلها، فمصادر المعرفة الإسلامية التي ينالها الإنسان الإدراك والحقائق، فالعلماء المسلمون يتفقون على أن أهم "مصادر المعرفة الإسلامية" التي ينالها الإنسان هي الوحي: الذي يكشف للإنسان حقائق ما كان ليصل إليها بدونه، والعقل الذي يستطيع كشف أنواع من الحقائق، والحس الذي يهيء للعقل مادة المعرفة، عن طريق المدركات الحسية، ويرى هؤلاء العلماء مع اختلاف بينهم، في قيمة المعرفة الملتقاة عن طريقها أن باستطاعة الإنسان من خلال هذه المصادر تحصيل علم صحيح" (الزنيدي، ١٩٩٢م، ٩٦). فمصادر المعرفة الإسلامية عند علماء المسلمين هي :

1- الوحي أو النص أو الخبر أو النقل.
2- والعقل أو البرهان أو الحجة العقلية أو المنطق.
3- والوجدان، أو القلب، أو الإلهام، أو الذوق، أو الحدس، أو الكشف، أو الفتح، أو العلم اللدني.
4- الفطرة، الحواس، التجربة.

فمصادر المعرفة الإسلامية عند محمد إقبال فيما يلي :

وإنّ التفكير الديني يرشد إلى معرفة الخلق والكون، كما في كتاب تجديد الفكر الديني في الإسلام، والذي يهم إبراز منطلقاتها ومضامينها من زاوية فلسفية، في ارتباط بالإشكال المركزي ما طبيعة فلسفة الدين في خطاب هذا المفكر اللامع؛ ويحتوي هذا الكتاب على ستة فصول، المعرفة والرياضة الحديثة، البرهان العقلي على ظهور التجربة الدينية، الألوهية ومعنى الصلاة، روح الثقافة في بناء الإسلام أو روح الثقافة الإسلامية، مبدأ الحركة في بناء الإسلام، هل الدين ممكن؟ (إقبال، ٢٠١١م، ٣٠٣).

يحدد محمد إقبال مصادر المعرفة الإسلامية بثلاثة مصادر أصلًا وهي: التجربة الدينية يعني: الوحي، والتجربة الحسية الخاضعة للمنهج التجريبي، والتاريخ أو بلغة القرآن؛ وحجية العقل والتصوف.

الوحي: أن الوحي أو التجربة الدينية هي أوثق مصادر المعرفة الإسلامية وأكثرها يقينًا عند محمد إقبال، ويرى إقبال أن الذات الإنسانية تتصل بالحقيقة المطلقة مباشرة عبر الحدس، دون الاعتماد على أدوات الحس المادي. فالوحي، في نظره، يمثل روح الذات، حيث يتجاوز نطاق الحواس المادية ليصل إلى أعماق الحقيقة التي لا يمكن للعلم وحده أن يدركها أو يستوعبها. فالعلم بأدواته وتقنياته ينحصر في دراسة الظواهر الحسية، لكنه لا يستطيع أن يدّعي أن هذه الظواهر تشكل

كامل الحقيقة أو أنه لا يوجد شيء يتجاوزها. وهو يؤكد أن إنكار وجود حقيقة تتجاوز الظواهر الحسية ليس موقفاً علمياً، بل هو ادعاء خارج نطاق المنهج العلمي. إذ لا يمكن لعالم يحترم مبادئ العلم أن ينفي وجود ما وراء الظواهر، لأن هذا يتجاوز حدود العلم وإمكاناته. علاوة على ذلك، يرى محمد إقبال أن التجربة الدينية بلغت كمالها المثالي عبر التاريخ الإنساني في الوحي الإلهي الذي تجسد بأبهى صوره في شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فالنبي، في رؤيته، يمثل أسمى مثال للتجربة الروحية التي تربط الإنسان بالحقيقة المطلقة وتفتح آفاقاً أوسع لفهم الكون والحياة (إقبال، ٢٠١١م، ٢٩).

يعبر إقبال بفلسفته في أعماق التجربة الروحية للنبيّ صلى الله عليه وسلم، لأن الحديث أيضًا مصدر من مصادر الوحي؛ فالنبوة مؤهل تلقي الوحي كما قال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي﴾ [الأعراف: ١٤٤] فالنبوة قائمة على الاختيار الإلهي (الزنيدي، ١٩٩٢م، ١٤٥). ويعبر إقبال عن هذا المعنى بكلماته القيمة فيقول: "إن النبوة نوع من الوعي الروحي تنزع فيه "تجربة التوحّد في مقام الشهود إلى التدفّق خارج حدودها، لتبحثعن مجالٍ لنشاطها في إعادة توجيه قوى الحياة الجمعية للإنسان وإعادة تشكيلها على أساس جديد. لكي تقترب من فهم هذا التعريف الفلسفي الديني للنبوّة، واقرأ الآيات التي تصور مقام الشهود للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في معراجه، عندما بلغ سدرة المنتهى" (حسن حنفي، ٢٠٠٩م، ١٧٦)، كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم ٣-١]، وهي نوع للحكم على التجربة الدينية. ويستبن إقبال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "(تخلقوا بأخلاق الله)، فكلما شابه الإنسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردًا بغير مثيل وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق، والإنسان الكامل هو الأقرب لله"(الغوري، ٢٠٠٧م، ١١٩).

فإن الثقافة الإسلامية التي انشأت من الرسالة المحمديّة يقول إقبال: "ليس من هدفي أن أقدّم لكم وصفاً لإنجازات الإسلام في مجال المعرفة، وإنما أريد بالأحرى أن ألفت نظركم نحو الآراء الهامة في ثقافة الإسلام لكي نرى ما تنطوي عليه من عمليات فكرية، وبذلك نُلقى نظرة خاطفة على الروح التي عبّرت عنها هذه الآراء." ثم يتابع قائلا: "على أنه قبل أن نتقدم في البحث ينبغي أن نفهم القيمة الثقافية لفكرة فريدة تميّز بها الإسلام وأقصد بها ختام النُّبُوّة (إقبال، ٢٠١١م، ١٩).

التجربة الحسية الخاضعة للمنهج التجريبي: يبين القرآن الكريم في كثير من آياته وجود مصدرين آخرين للمعرفة الإسلامية وهما الطبيعة والتاريخ، تتجلى روح الإسلام في أبهى صورها من خلال انفتاحها على مصدرين أساسيين للمعرفة: الوحي الإلهي والعقل البشري. يشير محمد إقبال إلى أن الإسلام، بطبيعته، يدعو الإنسان إلى التفاعل مع هذين المصدرين، حيث يعمل الوحي على تقديم الإرشاد الإلهي المباشر، بينما يتيح العقل فهم هذا الإرشاد وتطبيقه في الحياة كما: "الشمس" و"القمر" و"امتداد الظل" و"اختلاف الليل والنهار" و"اختلاف الألسنة والألوان" و"تداول الأيام بين الناس" وإلى الأرض

وما فيها من إنسان وحيوان ونبات وجماد وغيرها من المخلوقات، والسماء وما تحتوي عليه من نجوم وأقمار وأفلاك وسحب وأمطار. وكل هذه الطبيعة تؤدي للإدراك الحسّي للإنسان. وواجب المسلم هو أن يتأمّل في هذه الآيات لا أن يمرَّ بها كما لو كان ميتاً أو أعمى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢]، وقال إقبال: "هذه الدعوة إلى عالم الحس وما صاحبها من التحقّق المتأني للرؤية القرآنية للكوْن، من حيث إنه كوْن ديناميكي متغير ومتناه، ولكنه قابل للزيادة والاتّساع: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]. يؤكد إقبال أن القرآن الكريم يوجه أنظار الإنسان بشكل متكرر ومؤكد نحو الآيات الكونية التي تشير إلى الحقيقة المطلقة. هذه الدعوة الدائمة للتأمل في الكون وفي النفس تعكس الروح الديناميكية للإسلام، التي لا تقف عند حدود العبادة الشعائرية، بل تتعداها إلى فهم أعمق لسنن الله في الكون، بما يعزز الإيمان ويوجه الحياة الإنسانية نحو الغاية الكبرى (إقبال، ٢٠١١م، ٢٠٠).

ويعبر إقبال بقوله: "إن أول نقطة هامة نستخلصها من هذا الكلام عن روح الثقافة الإسلامية هي أن هذه الثقافة ترتكز على ما هو محسوس بغرض الحصول على معرفة قابلة للتحقيق، ومن الواضح أيضاً أن ميلاد منهج الملاحظة والتجربة، كان معبّرا أصدق تعبير عن روح الثقافة الإسلامية التي تختلف اختلافا جذريا عن الثقافة اليونانية القديمة؛ فقد كان اهتمام الإغريق منصبّا على النظرية وليس على الواقع المحسوس، كما هو الشأن بالنسبة للثقافة الإسلامية"(إقبال، ٢٠١١م، ٢٣٨). وينتهي بالحث إلى التأكيد على هدفه الأساسي حيث قال: "أريد بالتحديد أن استأصل الفكرة الخاطئة القائلة بأن الفكر الإغريقي كان هو الذي حدد طبيعة الثقافة الإسلامية"(إقبال، ٢٠١١م، ٢٣٥).

إن الله لم يخلق الكون ووضع فيه سننه وقوانينه ثم تركه وانصرف عنه كما يظن بعض الفلاسفة مخطئين.. فالكون بقدرة الله الخالق يتمدد ويتسع أبدا، وكل ذرة في الكون وكل خلية حية تموت وتحيا في كل لحظة ملايين المرات؛ وهذا الخلق المتواصل المتدفق أبدا آية من آيات الله الحي القيّوم الذي لا يموت، ولا يغفل عن رعاية خلقه، بل يشمله بالربوبية الدائمة في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥], ويرينا الله آياته في التجربة فعلينا التفكر والتدبر بآياته كما قال إقبال: "ومن ثم أصبح واجب الإنسان أن يحكم على كفاءة كل نواحي التجربة في إمدادنا بالمعرفة"(إقبال، ٢٠١٥م، ٣٨).

التاريخ أو بلغة القرآن "أيام الله": يرى إقبال من الحقائق الأساسية التي يبين لنا القرآن الكريم أن الأمم تحاسب بمجموعها ككل، وأنهم تعاقب على سيئاتهم وآثامهم في الحياة الدنيا؛ ولكي يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة يسوق لنا أمثلة من التاريخ، ويحض القارئ على التفكير والتدبر والاعتبار بتجارب الأمم السابقة، وفى هذا المعنى يسوق لنا إقبال طائفة من الآيات القرآنية ذات الدلالة في قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]. وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [الأعراف: ٣٤], قال إقبال: "والآية الأخيرة أحد الأمثلة على التعميم التاريخي الأكثر خصوصية وتحديداً، وبصياغته

البليغة يوحى بإمكانية الدراسة العلمية لحياة الجماعات البشرية باعتبارها كائنات عضوية؛ ومن ثَمّ فإنه من الخطأ الفادح الزعم بأن القرآن يخلو من بذور المنهج التاريخي(إقبال، ٢٠١١م، ٢٣١)؛ إذا تأملنا الروح العامة في مقدمة ابن خلدون، يتضح لنا أنها تستند إلى إلهامات مستمدة من القرآن الكريم. فقد كانت توجهات ابن خلدون الفكرية وأحكامه على الطبائع والأخلاق البشرية عميقة الصلة بالمنظور القرآني. يظهر ذلك جلياً في تفسيراته وتحليلاته، حيث نجد القرآن مصدر الإلهام الأساسي في صياغة نظرياته حول الإنسان والمجتمع. ومن أبرز الأمثلة على هذا التأثير الفقرة الطويلة التي خصصها ابن خلدون لتقييم طبائع العرب كشعب. فقد استلهم رؤيته من النصوص القرآنية التي تعالج خصائص البشر وسلوكهم، مما أضفى على تحليلاته بُعداً روحياً وفلسفياً يربط بين علم الاجتماع وفهم الوحي. هذه النظرة المتأصلة في القرآن جعلت من مقدمة ابن خلدون عملاً فريداً يجمع بين التأمل الفلسفي والتطبيق العملي في دراسة المجتمعات، فالفقرة كلها إطناب تفصيلي للآيات القرآنية الآتية: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:٩٧- ٩٨].

ويقول إقبال: "على أن اهتمام القرآن بالتاريخ باعتباره مصدراً للمعرفة البشرية يمتد إلى ما هو أكثر من مجرد إشارات أو تعميمات تاريخية"(إقبال، ٢٠١١م، ٢٣٢)؛ فقد وضع لنا القرآن أحد القواعد الأساسية للنقد التاريخي؛ آخذا في الاعتبار أن الدقة في تسجيل الحقائق وروايتها التي تشكل مادة التاريخ شرط لا غنى للتاريخ بوصفه عِلْمًا، ولما كانت المعرفة الدقيقة للحقائق التاريخية تعتمد على رُوَاتها، فإن القاعدة الأولى في النقد التاريخي هي أن الأخلاق الشخصية للرّاوي عنصر هام في الحكم على روايته أو شهادته، وفي ذلك يقول القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. ولقد كان تطبيق هذا المبدأ على رُواة السُّنَّة وأحاديث الرسول هو ما نشأ عنه بالتدريج قوانين النقد التاريخي. والحقيقة كما يرى إقبال أن تطوّر الحاسة التاريخية في الإسلام موضوع آسر يحتاج إلى دراسة مستقلّة.

ويتابع محمد إقبال فكرته مؤكداً أن القرآن الكريم يدعو الإنسان باستمرار إلى التفكر والتدبر في التجارب الإنسانية السابقة، كوسيلة لاستخلاص العبر وتحقيق الفهم العميق للحياة. كما يشدد القرآن على أهمية التحقق من صحة الأحاديث النبوية، ما يعكس منهجاً نقدياً يقوم على التثبت والدقة، مما يعزز الإيمان الواعي. يشير إقبال أيضاً إلى أن القرآن يحث على بناء أجيال متصلة بمصادر دائمة للإلهام الروحي والفكري، ويركز على تحقيق وعي الناس بوحدتهم البشرية المشتركة. ففي هذا السياق يقرر القرآن الكريم عن الأصل البشري كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٩] (إقبال، ٢٠١١م، ٢٣٥) .

حجية العقل: معرفة العلامة محمد إقبال عن العقل: العقول البشرية المتناهية تعتبر الطبيعة شيئا مغايرا لها، موجودا في ذاته، يعرفه العقل ولكن لا يصنعه، وعلى هذا النحو نميل إلى اعتبار فعل الخلق حادثا معينا وقع في الماضي، ويبدو لنا

الكون شيئا مصنوعا ليست له علاقة عضوية بحياة صانعة، وأن هذا الصانع ليس إلا مجرد مشاهد له (حسن حنفي، ٢٠٠٩م، ٤٨٧).

ويبين إقبال وجود الله تعالى ويثبته بحجية العقل، فيؤكد "ليس القصد من القرب أن يفنى وجوده في وجود الله، كما تقول فلسفة الإشراق، بل هو على نقيض هذا يمثل الخالق في نفسه" (الغوري، ٢٠٠٧م، ١٢٠)

ويشير العلامة إقبال في فهم الدين الصحيح فهما واعيا بالتفكير والتدبر، وأخذ على نفسه أن يبين أموره إلى العوام والخواص، ويشير إلى نقطة هامة إلى أن الدين حينما يخلو من الروح والطمأنينة عند شخص ما لا يعدو هذا الشخص إلا من الخارجين عن الملة، كما يرى أن الإنسان أفضل من يصلح لعمران الأرض، حيث يقول إن ذات الإنسان لائية ولا تقف حدود الجبال أو البحور، وعلى كل مسلم أن يعرف ذاته ويكتشف إمكانا كي يسخرها في خدمة دينه ودنياه؛ مثل هذه استخدم في كثير الأحوال حجية العقل.

والمعرفة والرياضة الدينية هي قضية الفلسفة والدين أو العقل والإيمان. ويأخذ العلامة محمد إقبال صف الدين علي حسب الفلسفة، والإيمان علي حسب العقل، ويعلن عجز العقل عن إدراك كنه الحقيقة القصوي. ولا يدرك جوهر الدين إلا بالإيمان الباطني. الإيمان مجرد شعور خالص يشبه رضا النفس كما هو الحال عند الصوفية. قد يكون الفكر أحد عناصره كما حاول المتكلمون الفلاسفة. الدين في حاجة إلى أساس عقلي مهما تجاهل الميتافيزيقا من أجل رفع التناقضات في عالم التجربة. ولا يعني ذلك تعالي الفلسفة على الدين وإن كان لغا الحق في الحكم عليه، الفكر والبداهة قرينان (إقبال، ٢٠١١م، ١٠٧).

التصوف والعلم: وجد إقبال بقوة صحبة التجربة الصوفية، حيث شعر بإثارة ملموسة روحانية في الوقت نفسه، فهو يبرز أن علم التصوف من الدين، وهو يسعى إلى تحقيق مقاصد الشارع الحكيم من خلال تفعيل التكليف، ويرى إقبال أن التجربة الصوفية لا تختلف عن المعرفة الصوفية الإسلامية، كما بين حسن حنفي: "وهو وعي ذاتي وموضوعي، فمجال التجربة الصوفية إذن من حيث هو سبيل إلى المعرفة مجال حقيقي لا يقل عن ذلك أي مجال أخر من مجال التجربة الإنسانية، ولا يمكن تجاهله لمجرد كونه لا يرجع في شأنه إلى الإدراك الحسي" (حسن حنفي، ٢٠٠٩م، ٢٣٠). هكذا أصبح المنهج الصوفي عند محمد إقبال أساس فلسفة الدين، بل أنه رحمه الله وجد حلاوة الدين بتفعيل التصوف، كما يوجد صريحا في أشعاره مخاطبًا له ولغيره.

فكثير من بيان العقائد والأفكار الدينية لها مرتبة من غير شك ودلالة ميتافيزيقية، ومن الواضح أن أسس التجربة الدينية التي هي موضوع العلوم الإنسانية التي تشتغل بالطبيعة على مناهج الصوفية، كما قال إقبال: "فالدين ليس علم الطبيعة أو علم الكيمياء التي تفسر ميداناً من ميادين التجارب الإنسانية، هو ميدان الرياضة الدينية التي تختلف عن ميادين العلوم السابقة كل الاختلاف، والذي لا يمكن رد أسسه إلى أساس أي علم أخر"(إقبال، ٢٠١١م، ٣٠٩). من هنا يرد

إقبال التمييز بين العلم والفلسفة والدين من دون العدول عن أهمية استيعاب العلم. والدين والفلسفة والعلم كلها تختلف في فهم التجربة الدينية حسب المقاصد. وفي بيان حقيقة التصوف الذي ظهر في قصيدة الشكوى وهو يشكو إلى سيدنا الرسول ﷺ أحوال المسلمين في عصره، ودعا لخيارهم وأخبره عن ضعف إيمانهم (ابن الحسن، ٢٠١٦م، ٥٠)، هكذا استخدم محمد إقبال في بيانه مناهج التصوف في المعرفة الإسلامية.

بعد استعراض البيانات السابقة يجد الباحثون، أن مصادر المعرفة الإسلامية عند محمد إقبال هي الوحي الإلهي والتجربة الحسية ووالتارخ والوقائع التي بيّن القرآن الكريم، والعقل والتجربة الصوفية.

الخاتمة

وقد توصل الباحثون من خلال هذا البحث إلى بعض النتائج منها :

–مشروع إسلامية المعرفة هو مبادرة تجديدية اجتهادية تهدف إلى معالجة التحديات المعرفية التي تواجه الأمة الإسلامية، لا سيما في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية .

–يرتكز المشروع على رؤية تسعى لإعادة بناء هذه العلوم وصياغتها بما يتماشى مع الرؤية الإسلامية، من خلال الجمع بين الوحي والعقل وإدماج القيم والمبادئ المستمدة من الشريعة الإسلامية.

–كان محمد إقبال عالماً جليلاً فيلسوفًا ومصلحًا وشاعرًا صوفيًا مفكرا إسلامياً، ولقب بحكيم الأمة. وكان شعره بمواصفات دينية متأثرة في التجديد والتفكير والمعرفة.

–قام محمد إقبال في بناء الفكر الجديد، والمعرفة الإسلامية بكتاب "تجديد الفكير الديني في الإسلام" وتأسيسه على الشعوبية والإستشراق في أول حياته فإن هذا الكتاب بيان إصلاح ديني إسلامي لإعادة بناء الفكر الإسلامي من الداخل، وتحرير الفكر من التقليد الأعمى.

– ويحدد محمد إقبال مصادر المعرفة الإسلامية بثلاثة مصادر، وهي التجربة الدينية، والتجربة الحسية الخاضعة للمنهج التجريبي، والتاريخ أو بلغة القرآن "أيام الله".

مصادر و مراجع

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري. ١٩٩٠م. لسان العرب. بيروت: دار الصادر، ط١.

Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram al-Afriki al-Misri. 1990M. Lisan al-Arab. Beirut: Dar al-Sadir, 1st ed.

ابن الحسن، بدران مسعود. (٢٠١٦م). المدخل النقدي لإعادة بناء الفكر الإسلامي عند العلامة محمد إقبال. مجلة إسلامية المعرفة، السنة الحادية والعشرون، العدد ٨٤.

Ibn al-Hasan, Badran Mas'ud. (2016M). Al-Madkhal al-Naqdi li I'adat Bina' al-Fikr al-Islami 'ind al-'Allama Muhammad Iqbal. Majallat Islamiyat al-Ma'rifah, 21st year, Issue 84

إقبال، محمد. ٢٠١١م. تجديد التفكر الديني في الإسلام. ترجمة: محمد يوسف عدس، تقديم: الشيماء الدمرداش العقالي. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

Iqbal, Muhammad. 2011M. Tajdid al-Tafakkur al-Dini fi al-Islam. Translated by: Muhammad Yusuf 'Adas, Introduction by: Al-Shaima' al-Damardash al-'Uqali. Beirut: Dar al-Kitab al-Lubnani.

إقبال، محمد. ٢٠١٥م. روح الثقافة الإسلامية. مجلة دورية تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، العدد: ٣١. السنة ٣٠.

Iqbal, Muhammad. 2015M. Ruh al-Thaqafah al-Islamiyyah. Majallah Dawriyyah Tasduruha al-Munazzamah al-Islamiyyah li al-Tarbiyyah wa al-'Ulum wa al-Thaqafah, Issue 31, Year 30

. بوعزيزي، محمد العربي. ١٩٩٩م. محمد إقبال: فكره الديني والفلسفي. دمشق: دار الفكر.

Bu'azizi, Muhammad al-'Arabi. 1999M. Muhammad Iqbal: Fikruhu al-Dini wa al-Falsafi. Damascus: Dar al-Fikr.